



مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

تحرير المرأة المسلمة في العصر الحديث : الواقع والخيال

د/ ن. عبد الجبار

عميد كلية ب. م. سعيد تحت إدارة جامعة كالقوت، أندروت، لكشا ديوب

قد جاء الاسلام حاميا للحرية مدافعا عنها، ومحروبا للمرأة من الذل والخزي والهوان الذي كانت تعيش فيه أيام الجاهلية وأخذ بها الى حمى العزة والكرامة والشرف؛ سواء كانت هذه المرأة ابنة ، أو أختا أو أما ، أو زوجة . لقد أعطى الاسلام المرأة حقوقها الاقتصادية، فجعل لها من الميراث نصيبا بعد أن كانت محرومة منه؛ ودافع عن حقوقها الاجتماعية فأعطاه حرية اختيار الزوج ، وحرية طلب الطلاق في حالة تعثر الحياة الزوجية . وجعل لها حق حضانة الأطفال ، وحافظ على عفتها وشرفها وكرامتها فأمرها بالحجاب والتستر ، وكلف الرجل بالانفاق عليها ولو كانت ثرية، حتى لا تضطر للخروج من أجل العمل، فان اضطرت للخروج فلا غبار عليها. وعلى هذا قالت الدكتورة بنت الشاطي في احدي محاضراتها لطالبات جامعة الامارت : ان نصوص القرآن والسنة قد أوضحت ما للمرأة من حقوق ومكانة في ديننا الاسلامي الحنيف وما حباها الله من مكانة وهو الوضع الذي تحسدنا عليه نساء الغرب رغم كل افتراءات المستشرقين . ولذلك وجب علينا دراسة الدين ومعرفته معرفة حقة حتى نفخر بوضعنا كنساء لهن دور بارز بجانب الرجل ولسنا الشطر السلبي في المجتمع كما يزعم البعض. إذا كان لابد من تعدد الزوجات، فهي حالات خاصة. مثل مرض الزوجة الأولى، أو عدم قدرتها على الإنجاب. أو لنقص شديد في عدد الذكور بسبب الحروب مثلا، في مثل هذه الحالات فقط، يكون تعدد الزوجات، وبتنظيم خاص.

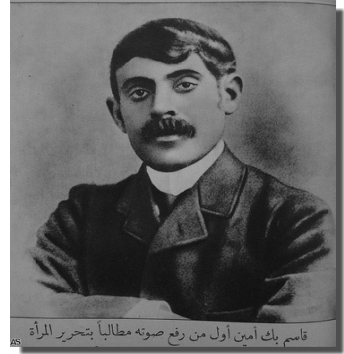
فقد جاءت هذه الشريعة، شريعة الإسلام، خاتمة الشرائع المنزلة من عند الله بما فيه صلاح أمر العباد في المعاش والمعاد ومن ذلك : الدعوة إلى كل فضيلة والنهي عن كل رذيلة ، وصيانة المرأة وحفظ حقوقها خلافاً لأهل الجاهلية قديماً وحديثاً الذين يظلمون المرأة ويسلبون حقوقها جهاراً أو بطرق مأكرة ، كالذين يدعون الاهتمام بشؤون المرأة ويدعون إلى تحريرها من الحدود الشرعية لتلحق بالمرأة الغربية ، ويسندهم في ذلك أعداء الإسلام سيما في هذه الأيام التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية إلى حملة شرسة من أعدائها لصدها عن دينها من خلال ما يدعونه من حقوق المرأة ومنها تغيير مناهج العلوم الشرعية. وأما في العصر الحديث فإن وضع المرأة في كل بلد من البلدان الديموقراطية الغربية نجد أنها قد حصلت على حرية تامة في كل مجالات الحياة. " ففي الطفولة تتصمّن الأنظمة العلمانية الديمقراطية معاملة متساوية بين البنات والصبي وتمنع التمييز على أساس الجنس. كما تقدم لهم الإمكانيات للتطور المتناسق والمنسجم. ومن عمر الثامنة عشر يحق للمرأة الانفصال عن أهلها، تماما مثل الشباب ، ويعتبرها القانون فردا حراً بالغاً. ويحق للمرأة العمل لإعالة نفسها وعائلتها، كما يحق لها الحصول على دعم المجتمع وحمايته الاجتماعية. وتحصل على كل المؤهلات من دراسة وتطوير للوصول إلى نفس مستويات الإبداع عند الرجل".

على الرغم مما حققه الاسلام للمرأة من حقوق نجد من ينادي بتحرير المرأة المسلمة، ويزعم -كذبا وبهتاناً - أن الاسلام يقيد حركتها ويجعلها حبيسة بيتها وأسيرة زوجها وهيكل متحركا، خاف أسوار حجابها الى غير ذلك من الأكاذيب، مما يعد هجوما على الاسلام وخداعا للمسلمة، ليتمكن استخدامها حربا على دينها ومجتمعها. وكل ذلك ليس الا شعارات براقعة خادعة يبتغي من ورائها افساد المرأة بحجة تحريرها واخراجها من بيتها وطبيعتها التي خلقها الله تعالى وفطر عليها.

وبهذا الشعاع الماكر يخربون البيوت ؛ ولقد كان هذا السهم الغادر موجّها الى صدر المجتمعات الاسلامية للنيل من أبنائه وبناته؛ وسهما لمحاربة العفة والطهارة. وقد ظهرت في بلاد المسلمين دعوات لتحرير المرأة ، وهي في حقيقة أمرها دعوات للانحلال والتسيب الإجتماعي والخلقي، بدأت بدعوة النساء الى نبذ الحجاب الشرعيّ الساتر لها؛ الحافظ لعفتها وكرامتها؛ والخروج من البيت بحجج شتى كالعامل والمساوات مع الرجل والإختلاط بالرجال إختلاطا فاحشا دون ضابط من خلق أو دين؛ وهذا الذي أدى الى ضعف الحياء وفقدان العفة والسقوط في مهاوى الرذيلة ؛ ممّا يسبب الإخراز بالبيت والأسرة والمجتمع. ولم توازن هذه الحركات في دعوتها الى تحرير المرأة بين واجباتها داخل بيتها وبين مسؤولياتها خارجه فأثر ذلك على بناء الاسرة. وحرّم الأطفال من الحياة الأسرية الهادئة؛ وخلا البيت ممّن يقوم على شؤونه. ومن المحزن أنّ الكثير من المسلمات انبهرن ببريق هذه الدعوات وظننّ أنّهنّ يحققن ما يردن من سعادة ونعيم. وهذا يرجع لأسباب سوء أحوال المرأة في كثير من بلدان العالم الاسلامي وجعل بعض العادات والتقاليد غير الشرعية ملصقة بالاسلام؛ لتسلط الرجل على المرأة بدعوى القوامة وسلبها حقوقها، أو عدم اشراكها معه في التفكير والرأي.

دور قاسم أمين في النهضة النسوية

أطلق المفكر الاجتماعي ورائد النهضة النسوية قاسم أمين الصيحة لتحرير المرأة باصدار كتابه "تحرير المرأة" عام ١٨٩٩ الذي كان علامة فارقة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا في صياغة مسيرة العربية والمصرية. وهذا بداية من بدايات التغيير الاجتماعي مدعيا على أن تحرير المرأة من تحرير المجتمع كئله وتخلّفها من تخلّفه وعبوديتها من عبوديته. دعا قاسم أمين في كتابه الى تنظيم تعدد الزوجات وجعل الطلاق باذن القاضي، ودافع عن الحجاب الشرعي واعتبره أصلا من أصول الأدب الذي ينبغي الالتزام به مطالبا بأن يكون حجابها في ضوء ما ورد في القرآن



قاسم بك أمين أول من رفع صوته مطالبا بتحرير المرأة

والسنّة، أي أن تغطي المرأة كلّ جسمها عدا الوجه والكفين؛ وليس بالتغالي في اخفاء وجهها. وان الحجاب الحقيقي في حسن التربية فهي الحجاب المنيع؛ ولها أن تخرج للعمل للضرورة ؛ وليس لها أن تلتحق بكلّ ميادين العمل الخاصة بالرجال. اهتمّ قاسم أمين بالاصلاح الاجتماعي ، ولم يقتصر هدفه على تحرير المرأة فقط ، بل على اصلاح المجتمع المصري بوجه خاصّ والشرقيّ بوجه عامّ اصلاحا شاملا ينسق المعوقات الرجعية التي صنعتها العقول المتحجرة والتقاليد المتعذرة، وكان من القضاة المتميزين بالنزاهة والاستقامة وفي الالتزام الصارم لجانب الحقّ ، تميّز بسعة العلم وقوة المنطق وبالقوة الفائقة وبالجرأة الفريدة في عرض أفكاره وساهمت مقالاته الجريئة التي نشرها في " جريدة المؤيد" في زعزعة الجمود الفكر والاجتماعي في تلك الأيام.

وهو يطالب بتعليم المرأة ومساواتها مع الرجل في التعليم الابتدائي على الأقلّ، فلا يمكن لمرأة من أن تدير منزلها اذا لم تكن حصلت على المعارف والعلوم. وينبغي لها أن تستعدّ عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء، كما أنّ المرأة محتاجة للتعليم لتكون انسانا يعقل ويريد فالتعليم هو الخطوة الأولى لفكّ الأغلال وتحرير الأذهان وحماية المجتمع من فتن البدع الموروثة هو السبيل لبناء مجتمع راق وفاضل وسليم. وقدم قاسم أمين في جراءة تحليليا واضحا لوضع المرأة ومفهوم الزواج والأمومة بعد أن كان لا يجراً أحد على الاقتراب من هذه الموضوعات وخاض في أدقّ تفاصيل حياتها وقام بتعريف أخفى. "وقد أثار الكتاب دويا كبيرا وجدلا عنيفا وهو حوجم هجوما حادا ولاذعا وفهم فهما خاطنا من كافة الأوساط والمجتمع المتزمت الذي لا يمتّ للدين بصلة ، ولاقى ردّ فعل عنيف، خاصة من أصحاب الاتجاهات التقليدية، كما أحدث انقسامًا بين أفراد طبقات المثقفين المصريين، ممّا دعاه لاصدار كتابه "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠ وهو تكملة وشرحا وتعليقا وتوضيحا عما جاء في كتابه "تحرير المرأة".

ونبه المجتمع الى الطاقات الكامنة بالمرأة فهي لا تقل عن الرجل في الذكاء أو في القدرات وتملك عقلا مساويا له تماما، وأن يكون لها ما للرجل، وليس مجرد متاع له. وبعد ما كان يتحدث عن عملها عن استحياء وعند الضرورة، رفع صوته بأن تساهم مع الرجل في صنع التقدم فهي جديرة بالعمل في مختلف الميادين، وان كان الأنسب لها التدريس والطب والإدارة والادب والصحافة، وبأنها قادرة على تقلد المناصب والأعمال، مستشهدا بأراء العلماء في مختلف التخصصات. بعد ثماني سنوات من صدور الكتاب، دخلت الجامعة اضافة لمشاركتها في النشاط السياسي في ثورة ١٩١٩ حيث شاركت بالمظاهرات التي تطالب بجلاء الانجليز عن مصر جلاء تاما.

كان قاسم أمين قاضيا وكاتبًا وأديبا ومصالحا اجتماعيا. اشتهر بأنه زعيم الحركة النسائية في مصر ومحرر المرأة المسلمة كما اشتهر بدفاعه عن الحرية الاجتماعية وبعده لثقة العدالة وبانشائه الجامعة المصرية وبعده لثقة للتربية في سبيل النهضة القومية. ودعا الى تحرير اللغة العربية من التكلف والسجع، فقد كان أديبا فذا، لكن احدا لم يتفق معه على التحرر من حركات الاعراب، فماتت دعوته في مهدها. جو مصر بعد الثورة ساعد كثيرا على تطور حياة مصر الاجتماعية والفكرية والأدبية. والروح الوطنية كامنة حتى الآن في نفوس الناس وهم أشد تعلقا بالحرية التي كسبوها بدمائهم. وأحس الناس قوة جديدة وتعلقا وثيقا فيما بينهم. ولكن هذه الحرية محدودة ومعظم الأراضي في أيدي الاقطاعيين. والمرأة قد نهضت بعد الثورة ووقفت مع الرجل في شؤون الحياة كلها؛ ودخلت الجامعة، واتصلت بالحياة الاجتماعية وشاركت بالحياة الأدبية، وألفت الجمعيات النسوية. وصارت المرأة مواضع وعناوين للقصاص والروايات والمسرحيات. وحاول الكتاب تحليل ظروف الحياة التي تعيش فيها والعوامل التي أثرت فيها. لما انتشرت العلوم أرسل القادرون أبناءهم الى أوربا ليستفيدوا من ثقافتها المتطورة؛ هكذا نزعات جديدة ظهرت في المجتمع. والمفكرون مثل سعد زغلول وقاسم أمين يعتقدون أن تقدم الأمة غير ممكن إلا بتغيير أحوالها في المجتمع. والأدباء في هذه الفترة كانوا يحاولون التحرر من القيود التي تشدهم الى الماضي. وهم يثبتون الحاجة لتحرير المجتمع والفرد من التقاليد والعادات القديمة. واقترح هؤلاء المصلحون الإقبال على الحضارة الغربية أساسا لدعوة الإصلاح. هذا التيار الاجتماعي واضح في المجال الأدبي أيضا خصوصا في فترة ما بين الحربين.

والأدباء المجيدون في هذا الزمان استخدموا هذا التأثير الجديد للتعبير عن الشخصية المسلمة. وحاول قاسم أمين مع أصحابه الذين ينتمون الى الطائفة الإصلاحية لياسس بناء التجديد والإصلاح على أساس قوي. ودعا قاسم أمين الى ضرورة اتباع الحضارة الغربية. وذلك لأنه تمنى لنأ يتخلف المسلمون في ميادين الحياة حينما يتقدم الغربيون فيها بسرعة عجيبة. وهكذا كانت دعوته الى تحرير المرأة المسلمة واشتراكها وحضورها في المجالات الاجتماعية دعوة شديدة. وبدأ اصلاح الأزهر وانشاء الكليات المتخصصة. وهينت خطط متنوعة للتطبيق بالتعليم السريع للجنسين والتوسع في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي مما جعله بالمجان ولمكافحة الأمية بين افراد الشعب من الذكور والاناث.

المراجع :

1. "المرأة في القرآن الكريم" للدكتورة بنت الشاطي، "المسلمون" فبراير 1982، ص: 63
2. "قاسم أمين وتحرير المرأة" لمحمد زكريا توفيق، مطبوعة الكترونية عربية من الولايات المتحدة الأمريكية فبراير ٢٠١٠
3. "المرأة في العصر الحديث"، حمل تطبيق مجلة المرأة لأجهزة أندرويد أكتوبر ٢٠١٠
4. قاسم أمين- رائد النهضة النسوية في القرن العشرين " لفاتنة صالح الكردي، جريدة الوطن